

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال

-دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

: Kairouan city between the interest of the Arab of conquest
and the sabotage of the tribes of Bani Hilal:

A historical study of the factors of development and the
causes of decline.

د. بوقاعدة البشير¹

² جامعة سطيف-2- الجزائر، bachirbougada@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/12/10 تاريخ القبول: 2019/12/25 تاريخ النشر: 2020/12/01

الملخص بالعربية:

تتوخى هذه الورقة البحثية بالدراسة والتحليل معالجة اشكاليتين محورتين: تتعلق الأولى بإبراز دور عرب الفتح في بناء مدينة القيروان وإسهاماتهم في توسيع عمارتها، كما تستتبع مظاهر التطور العمراني الذي شهدته القيروان على مدار المسافة الزمنية الممتدة بين فترة الفتح الاسلامي إلى غاية القرن الخامس الهجري (11م)؛ باعتباره محطة هامة في تاريخ المغرب الأدنى؛ ذلك أنّ هذا المجال شهد زحفا عربيا هلاليا كان له صدى عميقا على حضارة المنطقة وأثر بالغ على مستقبلها. كما تطرقت إلى طبيعة العوامل التي ساعدت على نمو القيروان الحضاري ومكنت لنهضتها الثقافية والفكرية. أمّا في المحطة الثانية فتصدى صاحبها إلى مباحثة مسألة مصير المدينة بعد هجرة العرب الهلالية إلى أرض المغرب خلال العقد الخامس من القرن الخامس الهجري (11م)؛ من خلال معاينة أسباب التراجع الحضاري لهذه المدينة، وموقع العرب الهلالية ضمن منظومة الأسباب المساهمة في انحطاطها، مع تحديد موقف السلطة من نشاط بني هلال على بساط المغرب الأدنى، وطبيعة الجهود العسكرية المبذولة من طرفها

في مسعى الحفاظ على استقرار المدينة، والتحكم في الوضع، وتسيير الأمور بما يحفظ حضارة القيروان ويؤمن ساكنتها.
الكلمات المفتاحية: القيروان، الفتح، العرب، التخريب، الانحطاط، التراجع.

Abstract:

This research paper aims at studying and analyzing two central problems; The first relates to highlighting the role of the Arabs of conquest in building the city of Kairouan and their contributions to the expansion of its architecture. It also studies the manifestations of the urban development witnessed by Kairouan between the period of the Islamic conquest and the fifth century AH (11 AD); as an important phase in the history of the Maghreb; This is because this area witnessed a crescent Arab encroachment that had a profound resonance on the civilization of the region and a profound impact on its future. It also addressed the nature of the factors that helped the development of Kairouan's civilization and enabled its cultural and intellectual renaissance. As for the second phase, the author elaborated on the issue of the fate of the city after the migration of the Crescent Arabs to the land of Morocco during the fifth decade of the fifth century AH (11 AD). By examining the reasons for the civilized decline of this city, and the position of the Crescent Arabs within the system of causes contributing to its decline, while defining the authority's position on the activity of Bani Hilal on the carpet of the lower Morocco, and the nature of the military efforts made by it in an effort to preserve the stability of the city, control the situation, and manage the things to preserve the civilization of Kairouan and secure its inhabitants.

Keywords: Kairouan, conquest, Arabs, sabotage, decline, retreat.

المؤلف المرسل: د. بوقاعدة البشير

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

مقدمة :

حين أدركت قيادة الفتح الاسلامي لبلاد المغرب بأنّ التمكين لعمليات الفتوح وتثبيت أقدامها على بسات المغرب بقوة رهين اتخاذ مقرات ثابتة تحاذي المجالات المفتوحة وتكون قريبة منها؛ بحيث تُتخذ كمقرات للمراقبة والإدارة والتخطيط والمتابعة، سارعت لبناء قاعدة عسكرية في موقع جغرافي تمّ اختياره بعد معاينة ومراجعة واستشارة؛ فكانت القيروان أول مركز عمراني يشرف المسلمون الفاتحون بقيادة عقبة بن نافع على تشييده ولإقامة أركانه.

ولا جدال في أنّ تثبيت المدينة وغرس أركانها في موقع القيروان لم يكن عشوائيا ولا محض صدفة، وإنما كانت القيادة المشرفة على الفتوح تراعي طبيعة الموضوع وأهميته الاستراتيجية بما يسمح بأداء وظيفي ممتاز أو على الأقل ملائم، وفي صدارة ذلك الأداء الوظيفي مهمة المدافعة، وعامل المناعة والحصانة من الأعداء، فضلا عن قربه من المراعي والماء وغيرها من مقومات الحياة وشروط الاستقرار. بما يعني عنايتها بدراسة كافة الاحتمالات والتوقعات التأمينية الدفاعية والتحصينية المناعية قبل البناء والتعمير، وتقييم أداؤها الحربي لترجيح كفة النصر على الهزيمة في حال تعرضها للهجوم من طرف الخصوم.

وقد نمت هذه المدينة القيروانية وترعرعت برعاية قادة الفتح، ثمّ ولاية الدولتين الأموية والعباسية، حتى باتت حاضرة العلم والمعرفة بالمغرب، ومقصد أهل العلم وطلابه من كل ربوع العالم الاسلامي زمنئذ، وملاذ التجار وأرباب العمل والصناعة من كل حذب وصوب. غير أنّ مظاهر ذلك النمو والازدهار أخذت تتلاشى مع بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (11م) تزامنا ونشاط العرب الهلالية العسكري بأرض المغرب، وضروب الإفساد والتخريب الذي ألحقه بحضارتها. وهو ما ستتطرق إليه هذه الورقة البحثية بالدراسة والتحليل في

محطتين محوريّتين؛ نتطرق في الأولى إلى مظاهر النمو وعوامل التطور والازدهار الحضاري الذي شهدته الحاضرة القيروانية، ونستتبع طبيعة العوامل التي مكّنت لذلك التطور والنمو وأسهمت في حركيته. ونتوقف في الثانية عند أبرز العوامل التي أسهمت في تراجع حضارة القيروان⁽¹⁾ وتقهرها وعلى رأسها الدور العربي الهلالي. فإلى أي حدّ أسهم عرب الفتح في نمو وعمارة الحاضرة القيروانية؟ وإلى أي حدّ أسهم عرب بني هلال في تراجع حضارة القيروان وتقهرها؟.

1- بناء مدينة القيروان :

لم يفكر المسلمون الفاتحون مع بدايات حركة الفتوح الإسلامية لبلاد المغرب في اتخاذ أمصار أو حصون بالمنطقة لاتخاذها مراكز ومحطات للانطلاق في توسيع عمليات الفتوح والتمكين لها، ذلك أنّ حملاتها كانت تغدو للفتح وتروح بعد الانتصار إلى مراكز انطلاقتها أو مواطن قراها، سواء ببلاد مصر أو بأرض الشام. ومعلوم أنّ ذلك فضلا عن أنّه يرهق الجيوش المتنقلة بين تلك المناطق لغرض الفتح، ويُعقّد من مهمة الفتح ويوسع من متاعبها ويرفع من مستوى الأثقال الملقاة على كاهل قادة الفتح والقائمين عليه ويزيد في حجم التكاليف المادية التي تستهلكها عملياته وتستنزفها، تحول دون المراقبة الدورية لقادة الفتح والمشرفين عليه لنشاط الخصوم من البيزنطيين ومن استمالوه إلى صفهم من المغاربة المقاومين للفتح، ولا يمكنها القيام برّد فعل سريع وفي الوقت المناسب ضدّ أي ترك عدائي بالمنطقة المفتوحة. وعليه ولما كان الحال كما وصفنا، كان بعض أهل المغرب ما يلبثون بعد الفتح حتى ينقضوا عهدهم الذي عاهدوه مع الفاتحين ويرجعوا إلى ما كانوا عليه من ضلال الديانة والمعتقد بتوجيه من قادة البيزنطيين أو قادة القبائل المغربية الذين لم يستوعبوا بعد حقيقة الاسلام ويعتقدون أنّ حركة الفتوح لا تختلف عن نظيراتها من حركات الاستيطان والاحتلال التي تعاقبت على المنطقة؛ والتي لا تنشأ سوى استغلال خيرات بلاد المغرب واستعباد

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

أهلها، وذلك في ظل بُعد المسافة بين مواطن قرار المرتدين والبساط الذي يحتضن قبائلهم عن مقرات قيادة الفتح، وبُعد خطوط مواصلاتهم فيما بينهم، وصعوبة إمداد القيادة بالمؤونة والدعم الكافي من جنود التح من القيادة المركزية ببلاد المشرق.⁽²⁾

كما إنّه وفي ظل تماطل بعض القيادات المغربية ورؤساء بعض القبائل عن الاستجابة لداعي الاسلام والإذعان للفتاحين، وتوجّسهم خيفة من نواياهم، وعدم تأكدهم من أغراضهم الحقيقية من وراء حركة من الفتح، كانوا يطلبون من القيادة الاسلامية أو المشرفين على حركة الفتوح بعدما تتم لهم السيطرة وفتح مناطق من أرض المغرب لهذه الاعتبارات المذكورة أو لغيرها، الرجوع إلى مقراتهم الرئيسية، ويرغبون أن لا يستقروا بالمناطق التي فتحوها، وذلك ما نقف على صداه في متن النص المصدري الذي جاد به علينا ابن عبد الحكم حين أورد بأنّ بعض رؤساء المغاربة من الفاتح العربي عبد الله بن سعد بن أبي سرح⁽³⁾ أن يعطوه الأموال، ويخرج من بلادهم، فقبل ذلك منهم، ولم يوّلّي أحدا، ولم يتّخذ بها قيروانا⁽⁴⁾.

بيد أنّ الأمور لم تستقر على ما ذكرنا مطولا، بل غير قادة الفتح من نظرتهم إلى استراتيجية الفتح الناجعة، وراجعوا أنفسهم فيما كانوا يهجمونه من استراتيجية؛ فمع ولاية معاوية بن خديج⁽⁵⁾ تنتقل مرحلة الفتح إلى مستوى أكثر من التفكير في إقامة معسكر للفتاحين عندما اتخذ قيروانا، ولم يغادره حتى خرج من المغرب إلى مصر، ففي ضوء ما احتفظ به المالكي يتجلّى لنا بأنّ هذا الفاتح "اختطّ مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة القيروان، وأقام بها مدة إقامته بإفريقية، وحفر آبارا عند باب تونس في ناحية الجبل منه منحرفا للشرق بالقرب من مصلى الجنائز تسمى الآن آبار خديج"⁽⁶⁾.

وتنطلق الدراسة التاريخية من كون القيروان الذي اتخذها معاوية بن خديج ارهاصا حقيقيا لما أقدم عليه عقبة بن نافع⁽⁷⁾ فيما بعد من بناء وتعمير على بساط ذلك الموقع، بعدما عُيِّن واليا على إفريقية، والذي أدرك أهمية بناء قاعدة ثابتة لحماية المسلمين، والحفاظ على ما تمّ فتحه من مناطق، حتى وإن كان البعض من المهتمين يرجع الفضل كما أسلفنا إلى الفاتح معاوية بن خديج في لفت الانتباه إلى أهمية هذا الموضوع. وهو ما أشارت إليه المصادر التاريخية على غرار ما تناوله الدباغ في هذا الصدد من خلال ما أورده ضمن مقولة عقبة بن نافع قائلا التي مفادها: "إن إفريقية إذا دخلها أمير تحرّم أهلها بالإسلام، فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر، وإنني أرى أن أتخذ بها مدينة نجعلها معسكرا، وقبروانا، تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"⁽⁸⁾. وهو القول الذي تشد من عضده وفي رواية الجغرافي ياقوت الحموي عندما أشار الأخير إلى موقف عقبة بن نافع من أهل هذه البلاد؛ وهي الرواية التي تحتاج إلى وقفة تحليلية نقدية متأنية وعميقة، وذلك أنّه قال بأنّ "أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم، إذا عضّهم السيف أسلموا، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عاداتهم ودينهم، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا، وقد رأيت أن أبني هاهنا مدينة يسكنها المسلمون فاستصوبوا رأيه"⁽⁹⁾.

وعلى هذا الأساس، تتبدى لنا رغبة الفاتح عقبة بن نافع الجامعة في بناء قاعدة اسلامية ببلاد المغرب تكون منطلقا للفتوح من جهة، وحصنا يؤوي المسلمين الفاتحين ويُمكِّن لحركة الفتوح ويحفظ ومنجزاتها وما حققته على البساط المغربي، وتعيّنه على تأمين من دخل الإسلام من أهل المغرب واعتنق هذا الدين الجديد من الذين لم يعتنقوه بعد وناصبوا أهله العدا. وراح يبحث عن موضع يكفل له ما يرجو ويلبي رغبته التي ذكرنا؛ فاهتدى إلى موضع مدينة القيروان وبناه بها.

1.1 اختيار موضع البناء :

بعدما عقد الفاتح عقبة بن نافع العزم على بناء قاعدته العسكرية كانت المهمة الأساسية الملقاة على كاهله هي اختيار الموضع الأنسب لغرسها فيه وتثبيت أركانها على بساطه. ولا بأس من إيراد المادة الخبرية التي ثوتها المظان المصدريّة بشأن روايات مشاورة عقبة لأصحابه بشأن طبيعة الموضع المناسب لبلوغ الغرض، والنتيجة التي رست عندها مشاوراتهم واقتراحاتهم، ولا بأس من الاستئناس بما ساقه ابن عذاري بما يفي بالغرض، إذ يقول: "فقال بعض أصحابه قريّها من البحر ليكون أهلها مرابطين ، فقال لهم: "إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها غزاة البحر... ، فإن كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير فأهلها مرابطون" ، فاتفق رأيهم على ذلك فقال: " قريّوها من السبخة " فقالوا: " نخاف أن تهلكنا الذئاب ويهلكنا بردها في الشتاء ، وحرّها في الصيف " ، فقال: "لا بدّ لي من ذلك لأنّ أكثر دوابكم الإبل وهي التي تحمل عسكرنا ، والبربر قد تنصّروا وأجابوا النصارى إلى دينهم ، ونحن إذا فرغنا من أمرها لم يكن لنا بدّ من المغازي ، والجهاد ، ونفتح الأوّل منها فالأوّل فتكون إبلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى ، فأجابوه إلى ذلك"⁽¹⁰⁾ .

وتتبدي لنا في ضوء هذه الرواية الأبعاد التي راعاها هذا الفاتح من خلال اختياره لموضع القيروان كبسك تفترشه قاعدته العسكرية، ومنها:

- البعد عن الساحل حتّى لا تتعرض لأساطيل البيزنطيين.

- القرب من البادية لمباشرة نشر الإسلام بين البربر.

- تأمين الإمداد الخاص بالجيش.

- تأمين الغذاء والحماية للدواب كالإبل التي تحمل العسكر⁽¹¹⁾ .

د. بوقاعدة البشير

وبالرغم من الأهمية اللافتة التي ينطوي عليها موقع القيروان، إلا أنه لم يحظ باتفاق من لدن أهل التأريخ؛ ذلك أنّ منهم من انتقده على غرار ما تفضل به علينا الجغرافي المقدسي، خصوصا ما تعلّق بأحد الشروط الأساسية للحياة بالمدينة وهو وجود الماء؛ ذلك أن موضع القيروان حسبما يراه هذا الجغرافي يفتقر إلى هذا العنصر المهم⁽¹²⁾. أما ابن خلدون فيرى أن موضع القيروان لا يفتقر إلى شرط المياه فحسب بل إلى جملة من الشروط يراها هذا المؤرخ في غاية الأهمية عند بناء المدن، وكان العرب قد أغفلوها عند بناء مدينة القيروان؛ حيث يقول: "كما فعله العرب لأول الإسلام في المدن التي اختطوها بالعراق، وإفريقية، فإنهم لم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب، ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف، ولا غير ذلك كالقيروان...ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لما لم تراعى فيها الأمور الطبيعية"⁽¹³⁾. وهو بذلك ينتقد السياسة العمرانية التي أشرف عليها قادة فتوح المغرب بقيادة عقبة؛ لكونها قد أهملت شرطا محوريا في مسار تشييد العمارة وغرس البنيان، على غرار عامل الحصانة الطبيعية والمنعة من الأعداء. ذلك أن مراعاة هذا الشرط الرئيس يحمي "القبائل والعصائب متوطّنين بقرمها بحيث يبلغهم الصريخ والنفير، وكانت متوعّرة المسالك على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى أسنمتها كان لها بذلك منعة من العدو ويئسوا من طروقها لما يكابدونه من وعرها، وما يتوقعونه من إجابة صريخها"⁽¹⁴⁾.

وعلى الرغم من النقد الذي وُجّه لموضع مدينة القيروان من طرف المؤرخين والجغرافيين، فإننا نعتقد أن عقبة بن نافع أحسن إلى حدّ ما اختيار موقع مدينته؛ إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترة الزمنية التي أُختطت فيها هذه القاعدة، والظرفية التي تحكّمت فيه، والعوامل السياسية التي وجّهت أنظاره إلى ذلك الموقع وأثرت في مادة رغبته لاختياره.

1. 2 طور البناء:

بعدما استقر رأي عقبة وأصحابه على بناء مدينة القيروان في الموضع المختار، كان من الطبيعي تهيئته بما يتناسب للبناء والتعمير؛ ذلك أنه كان عبارة عن واد "كثير القطف تأوي إليه الوحوش والسباع والهوام"⁽¹⁵⁾، وغياضا لا تسلك ولا ترام"⁽¹⁶⁾. وحينما استعصى على أصحابه أمر البناء والجال كذلك، وسألوه عن طبيعة الاجراء الأنسب لتهيئة الموضع وإستصلاحه للبناء، عمد عقبة إلى سبيل الدعاء؛ حيث تذكر المصادر أنه نادى: "أيتها الحياة والسباع نحن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ارحلوا عنا، إنا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه، فنظر الناس في ذلك اليوم إلى السباع تحمل أشبالها، والذئاب تحمل أجراءها، والحياة تحمل أولادها"⁽¹⁷⁾.

ويبدو من خلال هذا النص -على ما يحتمله من مادة فغي حاجة إلى وقفة نقدية متأنية- أن عقبة كان مستجاب الدعوة، كيف لا وهو قد غزا إفريقية ومعه خمسة وعشرين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرومون فتح بلاد المغرب، ونشر الاسلام بها، وذلك في اعتقادهم كفيل بأن تنطاع له الحيوانات حينما دعاها لإخلاء المكان لعقبة وأصحابه بعد أن دعاها إلى ذلك⁽¹⁸⁾. فأقبل عند ذلك المسلمون يقطعون الأشجار، ويمهدون الأرض، وتم اختطاط المدينة، وتحديد موضع مسجدها، وتخطيط شوارع المدينة، ودار الامارة، ثم أماكن بناء الدور والمساكن⁽¹⁹⁾. واستمرت أعمال البناء إلى غاية سنة خمس وخمسين للهجرة⁽²⁰⁾. وفي عهدة عقبة الثانية على رأس إفريقية سنة 62هـ / 681م عمل استكمال تشييد المدينة، فعمرت، وعظم شأنها، وكانت أول مدينة إسلامية أنشأها عرب الفتح في بلاد المغرب الاسلامي سنة 50هـ / 670م⁽²¹⁾.

1.3 تطور المدينة:

لم تلبث مدينة القيروان أن أخذت تتدرّج في التوسع والنمو العمراني، وأطرافها تنمو وتمتد. وتنامت مظاهر ذلك النمو تزامنا مع رعاية ولاة بني أمية؛ حيث زادوا في معالمها ووسعوا من مظاهرها، وفي طليعتهم حسان بن النعمان الذي جدّد بناء مسجد القيروان بما هو أحسن سنة 84هـ / 703م. لتتوالى حركة العمران بمدينة القيروان نموا وتطورا وتنوعا حسب حاجة المدينة، والنمو الديموغرافي الذي تعرفه، والتوافد الإثنوغرافي الذي تستقطبه⁽²²⁾ حتى باتت حاضرة مغربية مستقطبة للنخب وجامعة للعمران. فبخصوص أمر الدفاع عن المدينة، وحمايتها من أي خطر قد يداهمها لم يغفل ولاة أمورها عن إقامة الأسوار، والمحارس من مختلف جهاتها، إذ يذكر البكري أن للمدينة سبعة محارس أربعة خارجها وثلاثة داخلها، كما أن للمدينة سور من طوب، سعته عشرة أذرع، تتخلله أبواب، منها باب أبي الربيع، وباب تونس، وباب أصرم، وباب سلم. أما في فترة حياة البكري، فيشير هذا الأخير بأن لها أربعة عشر بابا، أشهرها باب النخل، وباب الحديث⁽²³⁾.

وتكون القيروان بناء على هذا النص على الرغم من كونها تقع في بسيط من الأرض مدينة ذات تحصينات هامة، من خلال السور الذي أحيطت به، والمحارس التي زوّدت بها، والتي كانت تتماشى والتطور العمراني الذي كانت تشهده في ظل اهتمام القائمين على شؤونها ورعايتهم الفائقة بذلك، من فترة زمنية لأخرى، حتى أضحت في عهد الجغرافي البكري (ت487هـ / 1094م) مدينة محصنة من الداخل والخارج، كما عرفت اتساعا كبيرا، فقد كان لها أربعة أبواب سنة أربع وأربعين ومائة للهجرة، لتصبح في عهده أربعة عشر بابا⁽²⁴⁾.

مع التنبيه إلى أن الفاتح عقبة بن نافع لم يغفل عند تخطيطه لمدينة القيروان عن أهمية السوق في الحياة الاقتصادية للمجتمع وممارسة النشاط

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

التجاري، ذلك أنه خصّص مساحة واسعة لسوق القيروان، الذي كان يعرف بالسماط. ويمتد هذا السوق الكبير من مسجد القيروان إلى باب الربيع على مسافة ميلين غير ثلث، ومن المسجد إلى باب تونس على مسافة ثلثي ميل، وكان سطحاً متصلاً فيه جميع المتاجر والصناعات والحرف. وتفيدنا النصوص المصدرة بأنّ الذي أمر بترتيبه بهذا الشكل هو هشام بن عبد الملك⁽²⁵⁾.

مع ضرورة التنويه بالصورة التنظيمية التي يعكسها هذا السوق والفوائد الاقتصادية التي يذورها على خزينة الدولة، فضلاً عن القيمة الجمالية التي أضفها على مخطط المدينة أو البعد العمائري الذي يعكسه كمؤسسة من مؤسساتها الاقتصادية ومرفقا من مرافقها الأساسية في حياة الساكنة. ويذكر أهل الاختصاص بأن سعة سوق القيروان هذه تعكس ذلك التنظيم المحكم في تخطيط المدينة التي كان السوق أحد مرافقها الهامة التي تقوم عليها الحياة في المدينة آنذاك. كما أن مدينة القيروان نظير ذلك أصبحت أهم مدينة تجارية بالمغرب الاسلامي، كما يؤكد الجغرافي ابن حوقل القائل: "وكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب، وأكثرها تجراً، وأموالاً، وأحسنها منازل وأسواقاً، وكان فيه جميع ديوان المغرب، وإليها تجبى أموالها، وبها دار سلطانها"⁽²⁶⁾.

وأمام حاجة المدينة على موارد مائية كافية لسد متطلبات ساكنة المدينة من هذه المادة الحيوية، عكف القائمون على المدينة من حكام وولاة على توفير هذه المادة، والتغلب على مشكل نقص الماء بها. فقد سهر حكام المدينة وولايتها من أجل التغلب على هذا المشكل بحفر الآبار، وإقامة المواجل؛ حيث أقام عامل القيروان عبد الله بن الحبحاب الذي تولى إفريقية والمغرب سنة 116هـ/734 خمسة عشر (15) ماجلاً خارج سور المدينة تكون سقايات لأهلها⁽²⁷⁾. وكانت هذه المواجل تمتاز بالكبر، والإتقان، وكان أعظمها الماغل المعروف بالفسيقة، الذي

د. بوقاعدة البشير

تشير المادة المصدرية على أنه كان عجيب الشأن، غريب البنيان حتى قال فيه عبيد الله المهدي (ت322هـ/934م) "رأيت بإفريقية شيئين لم أر مثلهما بالشرق: الخفير الذي بباب تونس - يعني الماجل- والقصر الذي بمدينة رقادة"⁽²⁸⁾. وقد كانت مياه هذه المواجل تُستعمل في حاجات الناس في المنازل وليس للشرب، في حين كانت مياه الشرب تُستخرج من الآبار⁽²⁹⁾.

ثم إن مما يبرز دور القائمين على القيروان لتجاوز مشكل نقص المياه بالمدينة - إضافة إلى ما ذكرنا- خاصة لتزويد ما تمّ إقامته من مرافق بالمدينة والتي تتطلب إمدادا مستديما بالمياه؛ ذلك أن القيروان حظيت -باعتبارها عاصمة الإقليم- بإقامة الحمامات وكانت بأعداد كبيرة، بلغت ثمانية وأربعين حماما حسب ما أشار إليه البكري⁽³⁰⁾. وهذه الكثرة إدلت على شيء فإنما تدلّ على تجاوز ندرة المياه؛ فتفسير هذه الحمامات واستمرار وظائفها لا ريب منوط بوفرة الماء حتى تؤدي وظيفتها الاجتماعية والصحية على أحسن وجه.

تأسيسا على ما سبق، نستشف بأن مدينة القيروان عرفت نموا كبيرا شمل جميع مجالات الحياة منذ مرحلة البناء، ومرورا بفترة حكم الولاة، فعهد الأغالبة، حتى أضحت المدينة أجلّ حاضرة بأرض المغرب آنذاك. وهو ما يشهد به الجغرافي الإدريسي الذي عدّها من أعظم مدن المغرب "قطرا"، وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا، وأوسعها أحوالا، وأتقنها بناء.... وأرباحها تجارة، وأكثرها جباية"⁽³¹⁾. أما حسبما أورده الجغرافي الأصبطخري فهي تعدّ أجلّ مدن المغرب خلا قرطبة بالأندلس⁽³²⁾. ونظير ما بلغته القيروان من ازدهار عمراني وثقافي نافست مدينة بغداد حسب وصف الجغرافي عبد الله الزهري الذي عدّها مدينة "عظيمة جمعت بين طيب الهواء، وعدوبة الماء، وجميع المحاسن، وهي أول مدينة عمرت في الأرض، وكانت عظيمة البناء فيها من الرخام الأبيض تماثيل، وهي أحسن بلاد الله فواكها وزرعا، كانت تضاهي بغداد... وكان فيها من العلماء، والفقهاء

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

،والشعراء ،والأدباء ،ما كان في البصرة ،ذكر أنه كان فيها أربعة آلاف كرسي للعلم ،وأربعمائة شاعر⁽³³⁾ .

وإن كانت مدينة القيروان قد مثّلت منارة للعلم ومركزا استراتيجيا عسكريا وسياسيا واقتصاديا ببلاد المغرب الإسلامي منذ كانت نقطة انطلاق للانتشار العربي الإسلامي حتى غدت مركزا للإشعاع الحضاري في عهد الولاة والأغالبة، فإن هذه الأهمية التي اكتسبتها المدينة والتطور الذي عرفته قد أخذ في التراجع بشكل تدريجي؛ وذلك حينما دانت بلاد المغرب الأدنى لسلطان بني عبيد أو خلفاء دولة الفاطميين؛ ذلك أن الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي بعدما مكّن لدولته سعى لبناء عاصمة جديدة تؤوي الأسرة الشيعية الحاكمة حينما رأى ضرورة البحث عن موضع حصين يحميه من نفوس الرعية؛ الذين كان معظمهم من أهل السنة المالكية المخالفين لمذهبه الشيعي والمعارضين لإيديولوجية دولته⁽³⁴⁾ .

فضلا عن أنّه أدرك بأن مدينتي القيروان ورقادة لا تصلحان لأن تكونا حاضرتا الفواطم وحصنهم الذي يؤوئهم، على اعتبار موقعهما السهل في بسيط من الأرض، وكذا لعداوة أهل المدينتين السنيتين لمذهب الفاطميين الشيعي كما أسلفنا. لذلك رأى هذا الخليفة الفاطمي أن يتّخذ مدينة بديلة عنهما عاصمة للفواطم تدفع عنه كل الأخطار التي تحيط بدولته. وهو ما حدث فعلا حينما شرع في بناء مدينة المهديّة سنة 300هـ / 913م التي انتقل إليها سنة 305هـ / 920م بعدما أتمّ بناءها⁽³⁵⁾ .

وبهذا الانتقال اتّجهت اهتمامات الفاطميين نحو مدينة المهديّة الجديدة، التي أصبحت عاصمة دولتهم. ولا شك أن هذا الانتقال كان سببا رئيسا في بداية التراجع التدريجي لدور مدينة القيروان وحضارتها، خاصة بعدما نقل الفاطميون

كل المراكز السياسية منها إلى المهديّة، حيث فقدت المدينة دورها كقطب سياسي وثقافي واقتصادي لصالح العاصمة الجديدة⁽³⁶⁾.

ومما زاد من تراجع دور المدينة الحضاري ما شهدته المنطقة من مظاهر الصراع العسكري لاسيما ذلك الذي غذته ثورة الخوارج النكارية على الفواطم بزعامة الثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري المعروف بصاحب الحمار (ت 336هـ / 947م)⁽³⁷⁾ الذي أخذ رجاله ينهبون ويفسدون ويخربون في ضواحي القيروان وأرياضها⁽³⁸⁾، مما أسهم في تنامي مظاهر الاضطراب بالقيروان؛ أصاب الناس الفزع، وكثر القتل فيهم⁽³⁹⁾. أما حكام الدولة الفاطمية فاكتفوا بالتحصن داخل مدينة المهديّة الحصن المنيع⁽⁴⁰⁾.

وبذلك نلمس بأن مدينة القيروان لم تحظ باهتمام الفاطميين طيلة فترة حكمهم لبلاد المغرب الأدنى؛ ففضلا عن أنهم اتخذوا عاصمة بديلة عنها، وأهملوا بنائها والاهتمام بتطوير عمرانها، وتحسينه، عجزوا كذلك عن حمايتها في عهد القائم بأمر الله ثاني خلفاء الفواطم من إفساد الخوارج النكارية وعبثهم في ضواحيها، ثم تنامي مظهر الإهمال أكثر في عهد الخليفة الشيعي المنصور اسماعيل (ت 341هـ / 952م) الذي اتخذ لنفسه مدينة المنصورية مقرا لإدارة شؤون هذه الدولة⁽⁴¹⁾. واستمرّ دور المدينة على ذلك الحال من التراجع والتقهقر حتى انتقال الأسرة الفاطمية الشيعية الحاكمة لبلاد المغرب الأوسط والأدنى إلى أرض مصر حين أوكلوا مهمة استخلاصهم على العرش بأرضه لأسرة بني زيري الصنهاجية وذلك بتاريخ 362هـ / 972م⁽⁴²⁾.

وبالرغم من العناية التي خصّها بها بنو زيري لم تحافظ مدينة القيروان على سيرورة ذلك النمو والتطور العمراني والاقتصادي والثقافي الذي عرفته أيام عصر الولاة ثم الأغالبة؛ إذ كانت فترة حكم الدولة الفاطمية منعرجا حاسما في مسيرة ذلك التطور؛ حيث أخذ منحاه في التراجع التدريجي تزامنا والثورة النكارية

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخریب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

واستمر على ذلك الحال حتى فترة الهجرة الهلالية إلى أرض المغرب. فما مصير المدينة بعد تلك الهجرة الهلالية يا ترى؟.

2. مدينة القيروان وعرب بني هلال:

-القطيعة عن الفاطميين والدخول الهلالي إلى بلاد المغرب:

لما اعتلى سُدة حكم دولة بني زيري المعز بن باديس (ت454هـ/1062م) عمل الأخير على إنهاء الصراع القائم بين عناصر الأسرة الزيرية الصنهاجية، حيث انتهى ذلك الصراع بعقد الصلح بينه وبين حماد بن بلكين بن زيري (ت419هـ/1029م)، وتوّج هذا الصلح بإقطاع المعز لحماد إقليم المغرب الأوسط، وما يفتح ممّا يليه غرباً وذلك سنة 408هـ/1018م⁽⁴³⁾. وإذا كان ابن خلدون يصف عهد المعز الزيري بأنه علامة مميزة في تاريخ الدولة الزيرية، حين يقول: "واستمرّ ملك المعز بإفريقية والقيروان، وكان أضخم ملك عرف للبربر بإفريقية، وأترفه، وأبدخه"⁽⁴⁴⁾، فإن ذلك لا يعني أن عهده قد خلى من الاضطرابات التي نغصت عليه وسبّبت له في الكثير من الأحيان المتاعب والمشاكل، وعكّرت صفو الأمن والسلام بإقليم دولته، بل تخلّلت عهده ألوان من الصراع مع الخصوم كانت حائلاً دون تحقيق الاستقرار التام لدولته؛ على غرار تجدد الصراع مع أبناء عمومته من بني حماد، بالإضافة إلى استمرار الصراع القبلي التقليدي مع العناصر الزناتية على تخوم الدولة الجنوبية.

غير أن الحدث الأعظم الذي أثار عميقاً على دولة المعز بما جرّه عليها من عواقب في عهده وعهد من خلفه من ملوك بني زيري فكان إعلانه القطيعة والانفصال عن الفاطميين الشيعة بمصر، ذلك أنّ هذه القطيعة وسوء العلاقة بينه وبين بلاط القاهرة، أفضت في نهاية الأمر إلى عواقب غير محمودة على دولته؛ ونقصد بذلك تلك الهجرة الجماعية لقبائل عرب بني هلال وبني سليم إلى أرض

المغرب، والتي يكاد الاجماع ينعقد بشأنها بأنها كانت بإيعاز وتدير من رجال بلاط القاهرة الذين أباحوا للعرب أرض المغرب انتقاما من المعز على قطيعته عن دولتهم بمصر بعدما انقطع خيط الأمل في رجوعه إلى الحظيرة الشيعية⁽⁴⁵⁾.

بشأن بوادر تلك القطيعة يرى عديد المؤرخين أنها ترجع إلى حادثة درب المقل في ناحية القيروان أين شهدت أغلب مناطق المغرب الأدنى مقتل عدد كبير من عناصر الشيعة سنة 407هـ/1016م؛ وذلك حينما خرج المعز في ركب في القيروان، إذ حينما كبا به فرسه⁽⁴⁶⁾ ذكر أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- فهبّ الناس من فورهم لقتل عناصر الشيعة⁽⁴⁷⁾. وإذا كانت هذه الحادثة تمثل بداية القطيعة، فإن المعز أقدم عليها بشكل صريح حينما دعا للخليفة العباسي السني القائم بأمر الله (ت 467هـ/1074م)، وقطع الخطبة للفاطميين وأحرق بنودهم، وضرب السكة بغير اسمهم⁽⁴⁸⁾. ومع أن أقوال المؤرخين تتضارب حول تحديد تاريخ القطيعة فإنها على العموم تنحصر في الفترة الممتدة بين سنتي 433-443هـ/1041-1051م⁽⁴⁹⁾. وبإعلان المعز بن باديس قطيعته عن بلاط القاهرة سارع الفواطم لتدارك الأمر، ومحاولة إقناع المعز بالعدول عن قطيعته، ولما فشلوا مسعاهم اهتموا إلى دفع العرب الهلالية والسليمية إلى أرض المغرب، تأديبا للمعز من جهة، وتخليصا للبلاد من آذاهم من جهة أخرى، فأجازت العرب النيل ودخلت بلاد برقة⁽⁵⁰⁾.

- الطريق إلى القيروان:

باجتياز القبائل العربية وعلى رأسها بنو هلال النيل قاصدة بلاد المغرب؛ كانت أول أرض وطأتها هي أرض برقة وما ولاها سنة 442هـ/1050م⁽⁵¹⁾. وهناك وجدوا بلادا كثيرة المرعى، فأقاموا بها، وعاثوا فسادا في أطرافها⁽⁵²⁾. فكما يشير ابن أبي دينار فإنه وعملا بوصية المستنصر أبي تميم معد بن الظاهر العبيدي الشيعي⁽⁵³⁾ الذي أباح لهم البلاد من برقة إلى ما بعدها⁽⁵⁴⁾، تقارعوا على البلاد

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

فكان لسليم الشرق أي برقة وللهلال الغرب أي طرابلس وما ولاها غرباً⁽⁵⁵⁾. كما عمدت القبائل العربية إلى أعمال التخريب حيث خربوا المدينة الحمراء (برقة)، وأجدابية، وسرت⁽⁵⁶⁾ ونحوها.

حيث استوطنت بطون من سليم وأحلافها أرض برقة، في حين سارت جميع القبائل الهلالية وبعض من بطون سليم إلى بلاد المغرب الأدنى وكأنها كما جرى على لسان المقرئ "كالجراد المنتشر لا يمرّون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة"⁽⁵⁷⁾. وهناك اصطدموا مع قبائل زناتة، فكانت لهم وقائع كثيرة معها بطرابلس التي أحكموا حصارها حتى تمكّنوا من دخولها فنهبوها وقتلوا ما أمكنهم قتله. ثم واصلوا سيرهم حتى أدركوا قابس، فدخلوها وخربوها هي أيضاً⁽⁵⁸⁾.

ومن ثمّ، فإنّه وقبل أن تصل جموع العرب إلى القيروان كانت قد أتت على مظاهر حضارة المنطقة تخريباً وإفساداً؛ حيث نهبوا تلك البلاد وخربوا عمرانها، وأفسدوا زروعها. فكان ضررهم بتلك المنطقة من العوامل المساهمة بشكل كبير في تدهور أوضاع ساكنيها وطردهم من أراضيهم إلى مناطق الجنوب⁽⁵⁹⁾. ويصف المؤرخ عبد الواحد المراكشي حال تلك البلاد على إثر ذلك الإفساد الهلالي بالبلاد وما ألحقه بها من خراب قائلاً: "وكان بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جداً...، إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون ونفت عنها أهلها أيام خلى بن وعبيد بينهم وبين الطريق إلى المغرب وذلك في حدود سنة 440هـ... فاستولى الخراب عليها إلى وقتنا هذا، واستوطنها الأعراب، وآثار هذه المدن باقية إلى اليوم"⁽⁶⁰⁾.

ولا بأس من التنبيه إلى أنّ بني هلال لم ينتقلوا من طرابلس و قابس إلى القيروان بجملتهم، وإنما أوفدوا إليها جماعة منهم على رأسها أبرز زعمائهم آنذاك

مؤنس بن يحيى الرياحي⁽⁶¹⁾ الذي أثر المعز بن باديس الزيري التقرب منه واستخلاصه لنفسه، وأصهر إليه⁽⁶²⁾، كما رغب أن يكون عوناً بعصبته من عرب بني هلال في حربه ضد أبناء عمومته من صنهاجة الكاره لهم، فرفض مؤنس ذلك العرض، مشيراً عليه بالنصيحة التي مفادها كما أورده أهل الاختصاص: أن القوم لا ينقادون لطاعة⁽⁶³⁾. وأمام إلحاح المعز عليه، والشدة في مخاطبته قائلاً له: "إنما تريد انفرادك، حسداً منك لقومك"⁽⁶⁴⁾، خرج مؤنس الرياحي إلى قومه، ونادى فيهم، وعرفهم كرم السلطان، والإحسان لهم، ثم سار بهم نحو القيروان⁽⁶⁵⁾.

ولما كانت هذه القبائل الهلالية كما يورده ابن عذاري لم تعهد نعمة ولا طالعت حاضرة؛ فكانوا كلما وصلوا قرية "تنادوا هذه القيروان، وانتهبوها من حينها"⁽⁶⁶⁾، كما عاثت تلك القبائل فساداً في تلك القرى. وعليه لما بلغت تلك الأنباء الخطيرة مسامع المعز بالقيروان أدرك خطورة الأمر وحقيقته، وعظم الخطب عنده وشك أن ذلك من تدبير مؤنس الرياحي، فأمر بأولاد مؤنس، وختم على داره حتى يُعلم ما يكون من أمره. ولما علم مؤنس الرياحي بأمر المعز اشتدت نكايته، وعظم بلاؤه، وشمر للحرب والنهب والسلب والتخريب⁽⁶⁷⁾. فأخرج المعز إليهم بعض الفقهاء ومعهم مكاتبات وشروط ووصايا، "وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع إلى الطاعة، وأرسلوا منهم شيوخاً بذلك، ثم بعد ذلك نكثوا على السلطان، واستولوا على الفساد بكل جهة ومكان"⁽⁶⁸⁾.

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن المعز استهان بقوة القبائل العربية رغم صدق النصيحة التي قدمها له شيخ العرب الهلالية مؤنس بن يحيى، وأدرك حينها سوء تقديره لخطر تلك القبائل على بلاده. بيد أنه أدرك ذلك بعد فوات الأوان. وربما يُعزى ذلك إلى شعور المعز بالقوة نظير ما يمتلك من الجيش الذي كان أغلب عناصره من العبيد الذين اشتراهم المعز، وأحاط بهم نفسه وجعلهم عصبته. وما حققه من انتصارات على أبناء عمومته من بني حماد، وكذا إخضاعه لعناصر

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

زناتة المتمردين على دولته. لكن الأمور ما كانت لتسير حسب ما كان يتوقعه المعز فقد رامت العرب الوصول إلى القيروان لكن شيخ العرب مؤنس أثر أن يكون دخولها بعد إخضاع كل المناطق المحيطة بها وأرباضها، وعندئذ يسهل اقتحامها؛ وذلك حينما أشار على أصحابه بامتلاك بلاد المغرب شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا القيروان "فأتوها فإنكم تملكونها"⁽⁶⁹⁾. وعلى هذا الأساس يكون مؤنس بن يحيى الرياحي قد أدرك أن السيطرة على القيروان تقتضي أولا امتلاك نواحيها وإضعافها بعد نهبها وتخريبها، ومن ثمّ التضيق عليها حتى تضعف هي الأخرى، وتغدو سهلة المنال. ولم تدخر العرب الهلالية جهدا في شنّ الغارات على البلاد وقطع الطرق على الرفاق، وإفساد الزروع، وحصار المدن والقرى. فساءت أحوال الساكنة، وانقطعت أسفارهم، ونهبت أموالهم، فاشتدّ البلاء على بلادهم وعظم⁽⁷⁰⁾.

ولما تمكنت العرب من بسط السيطرة على ضواحي القيروان بعدما عاثت فسادا وتخريبا بضواحيها أصبح الطريق مفتوحا أمامها نحو القيروان، حسب ما خطط له مؤنس الرياحي كخطوة أولى لتدمير دولة بني زيري تنفيذًا للمهمة الكبرى التي كلفهم بها بلاط القاهرة بناءً على ما يقرّه ابن خلدون⁽⁷¹⁾. وكانت الخطوة التي تليها هي دخول القيروان وتخريبها، فسارت قبائل بني هلال بجمعها نحو المدينة.

-اقتحام القيروان بعد موقعة حيدران:

في ظل الانتشار الهلالي بضواحي القيروان بعدما دانت لسيطرتهم أغلب مدن المغرب الأدنى وقراه أين عاثت فيها قبائل العرب فسادا ونهبًا وتخريبًا وتضييقًا على الطرق والمسالك. ومع اشتداد غاراتهم على القيروان وسوء أوضاع المناطق المحيطة بها لم يبق أمام المعز بن باديس سوى مواجهة العرب عسكريا، لكنه هذه المرة أدرك أن لا طاقة له بهم في ظل ما يملك من قوة، فبعث بالصريح إلى ابن عمه القائد بن حماد بن بلكين، فأمدّه الأخير بكتيبة من ألف فارس. كما

استنجد بزناة فأدركه المستنصر ابن خزرون المغراوي في ألف فارس هو الآخر⁽⁷²⁾.
وأخذ المعز الزيري يستنجد بالقبائل الصنهاجية والزناية حتى جمع حوله جيشا
قوامه ثلاثين ألف وخرج به لمجابهة العرب التي كان جيشها لا يزيد عن ثلاثة آلاف
فارس سنة 443هـ/1052م⁽⁷³⁾.

بعدما أتمّ المعز استعداداته العسكرية وقع الصدام الأول بينه وبين العرب
الهلالية أين انحازت كما يشير ابن خلدون عرب الفتح إلى من جيش المعز إلى
جانب بني هلال⁽⁷⁴⁾، وفرّ الزناتيون من ميدان القتال واتّفقت صنهاجة على
الهزيمة، وتركوا المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم، ويقتل أكثرهم. وعلى الرغم من
ثبات المعز مع عبيده الذين كثر فيهم القتل، ومحاولة صنهاجة تدارك الموقف
بالدخول في القتال إلى جانب المعز إلا أنّ المعز انهزم شرّ هزيمة وانكفأ إلى القيروان
مهزوما مخذولا⁽⁷⁵⁾.

لقد كانت هزيمة المعز هزيمة عظيمة قتل من جيشه فيها ثلاثة آلاف
وثلاثمائة، في الوقت الذي كانت نصرا عظيما حقّقه العرب الهلالية يضاف إلى ما
حقّقه من انتصارات سبقتها حينما استولت على المدن والقرى ونهبها في طريقها
إلى القيروان والتي أدركت خلالها ضعف جيش المعز وتفرّق عصبته، وعدم اجتماع
كلمة القبائل المغربية على رأيه⁽⁷⁶⁾، فأيقنوا هوان أمر المعز، وأن دخول مدينة
القيروان بات وشيكا.

لم تكتف العرب الهلالية بالنصر الذي حققته بعد هزيمة المعز بن باديس
في موقعة حيدران بل رجعوا في الأمان الذي أعطوه لأهل البوادي والنواحي وعمدوا
إلى أعمال النهب والتخريب⁽⁷⁷⁾.

أمام عجز المعز عن صدّ القوة الهلالية وإيقاف تهديداتها على بلاده، اتجهت
خيل العرب الهلالية قصد القيروان واستقرت على ثلاثة أميال منها في 17 ذي
الحجة 443هـ/19 أفريل 1052م، فبات أهل القيروان على هلع عظيم، فاضطر

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

المعزلاتخاذ إجراء أخري يقضي بنقل عامة أهل صبرة وسوقتها إلى القيروان، وإخلاء كل حوانيت صبرة كما أمر الصنهاجيين وغيرهم من العساكر الذين بالقيروان أن ينزلوا في حوانيتها وأسواقها، فعظم الخطب، وضائق أحوال السكان⁽⁷⁸⁾. ولم يكن هذا الإجراء هو الآخر ليحول دون إفساد الزروع، وتخريب العمارة؛ ذلك أن العبيد ورجال صنهاجة مدّوا أيديهم إلى حُشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها وخرّبوا عمران المدينة في مدة قصيرة⁽⁷⁹⁾. ليساهم المعز بذلك هو الآخر في أعمال النهب والإفساد والتخريب من خلال نتائج الإجراءات التي اتخذها لمنع مثل تلك الأعمال من طرف قبائل عرب بني هلال، وذلك بالموازاة مع استمرار نهب وإفساد هذه القبائل للمحاصيل الزراعية، ولعمران المدن، وأموال الناس بنواحي القيروان وأرباضها⁽⁸⁰⁾. ومع توالي هزائم المعز أمام العرب، و استمرار أعمال النهب والسلب والتخريب لجأ المعز إلى رفع الحرب مع العرب وطلب السلم عساه يجنّب بلاده المزيد ممّا لحقها من خراب، فصالح العرب سنة 444هـ / 1052م، وأباح لهم دخول القيروان لما يحتاجون إليه من بيع، أو شراء رغبة منه في رجوعهم إلى بلادهم بعد ذلك⁽⁸¹⁾. لكن ذلك لم ينفع إذ استطالت عليهم العامة في القيروان، فوقع القتل فيهم من طرف عرب بني هلال⁽⁸²⁾. وفي الوقت الذي كانت العرب مُنشغلة بالنهب والسلب حاول المعز عبثاً أن يستغلّ ذلك الهدوء النسبي لبناء سور القيروان، وكذا سور زويلة سنة 444هـ / 1052م لعلّه يكون ناجعا لصدّ هجمات العرب الهلالية، بعدما عجزت جيوش صنهاجة وزناتة عن مدافعتها. ولم تكن هذه التحصينات، التي أقامها المعز كفيلة بحماية القيروان من غارات العرب المتتالية، حيث أحاطت سنة 446هـ / 1054م بالمدينة، وأحكمت حصارها، وضيّقت عليها تضيقا شديدا حتى هلكت الضواحي والقرى، وملك مؤنس بن يعي مدينة باجة وأطاعه أهلها⁽⁸³⁾. وفي ظل هذا الوضع أشار المعز بن باديس على

الرعيّة بالانتقال إلى المهديّة لعجزه عن حمايتهم. وعندئذ شرعت القبائل الهلالية "في هدم الحصون والقصور، وقلع الثمار، وتعمية العيون، وخراب الأنهار"⁽⁸⁴⁾، كما عمدوا إلى اقتسام البراري، وإفساد القرى والحوضر⁽⁸⁵⁾، والمعز مُحاصر في القيروان. كما عمد إلى مصالحة العرب عن طريق مصاهرتهم بثلاث من بناته لثلاث من شيوخهم. و بفضل مساعدة أصهاره تمكّن المعز من الانتقال إلى المهديّة للتحصّن بها، وترك مدينة القيروان 449هـ/1057م⁽⁸⁶⁾.

بانتقال المعز بن باديس من القيروان فسح المجال أمام العرب الهلالية لدخول المدينة، وأي دخول كان فقد تفتّن العرب في أساليب التخريب والنهب والإفساد كما يورده المؤرخون، فابن أبي دينار يذكر أنّه في "رمضان سنة تسع وأربعين وأربعمائة نهبت العرب القيروان وكان ذلك سبب خرابها"⁽⁸⁷⁾. أما ابن خلدون فيشير أن العرب دخلوا "البلد واستباحوه، واكتسحوا المكاسب، وخرّبوا المباني، وعاثوا في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها، واستصفوا ما كان لآل بلكين...، وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها... فعظمت الرزية، وانتشر الداء، وأعضل الخطب"⁽⁸⁸⁾. في حين يضيف المقرئ أن بني هلال دخلوا مدينة القيروان واستباحوها، وخرّبوا مبانيها، فخرّبت افريقية عندئذ بأسرها، واحتلت القيروان ودمّرت⁽⁸⁹⁾. ويورد الدباغ نصّا حول مظاهر ذلك التخريب الهلالي لمدينة القيروان أين وصل بهم الأمر إلى نزول الآبار وهدمها وذلك حينما يقول: "ما جرى على القيروان ما جرى من نهب العرب لها وسي حريمها ودخولها بالسيف، ولم يبق بها دار إلّا دخلت حتّى نزلت آبارها، وهدم ما أُنّهم أنّ فيه خبئاً منها، وبقيت خالية لا أنيس بها وأهلها قد ذهلت عقولهم، وزهقت نفوسهم وفرّ الخليل عن خليله. واشتغل كل بنفسه"⁽⁹⁰⁾.

ومما لا يفوتنا أن نشير إليه أن المعز بن باديس في الوقت الذي كان يرى مملكته تنهار شيئاً فشيئاً عاد إلى حضيرة الخلافة الشيعية و دخل في طاعتهم سنة

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

446هـ/54-1055م ، إلا أنّ تغيير موقف المعز هذا لم يثر حوله كثير من اللغط لانشغال أهل المغرب الأدنى بما يهدّد أنفسهم وممتلكاتهم⁽⁹¹⁾. وبما أنّ المعز فقد الأمل مطلقا في إمكانية اتّخاذ رجال بلاط القاهرة أيّ إجراء في صالحه ما دامت العرب دخلت القيروان وخرّبها ، فإننا نجد في المقابل الخليفة المستنصر العبيدي يتلقّى هذه الأنباء بفرح وسرور لا مثيل لهما ، ذلك أنه أرسل رسالة إلى علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن جاء فيها: "وإنّه خلّف ابن باديس اللعين محصورا في منفاه من الأرض محمولا على شفا جرف من الأخذ والقبض ، فقد فغر الردى له فمه ، ولن يبعد بعون الله أن يلتقمه ، وأمير المؤمنين يسأل الله جلت عظمتة ، معونته على شكر نعمه الّتي هو عن القيام بواجب أقلّها محصور ، ولسانه عن الوفاء بأيسره مقصور ، ويقول الحمد لله الّذي أذهب عناّ الحزن إنّ ربنا لغفور شكور ، أعلمك أمير المؤمنين نبأ هذه العارفة الطارئة أن تنشره على المنابر ، وتذيعه في البوادي والحوضر إن شاء الله تعالى"⁽⁹²⁾.

3- مدينة القيروان ، أفول نجم حاضرة المغرب الأدنى:

على الجانب العمراني:

في ظل الصراعات الدائرة بين بين القبائل العربية الهلالية وملوك الدولة الزيرية أصحاب الإقليم والتي كان فيها ميزان القوة لصالح العرب الهلالية خصوصا بعدما أدركت ضعف جيش هذه الدولة عن مجابهتها وتفكّك وحدة الأسرة الصنهاجية في ظل الصراعات والتنافس في ما بينها من أجل السيطرة والتوسع أضحت بلاد المغرب الأدنى وفي مقدمتها مدينة القيروان مجالا يخضع للسيطرة الهلالية دون منازع. ولم تنته الأمور عند تلك السيطرة فحسب بل أتبعها القبائل الهلالية بأعمال تخريبية مسّت عمران مدينة القيروان ، والقرى المحيطة بها ، وقد تضرّر العمران كثيرا جرّاء ذلك التخريب؛ ذلك أنّه أفضى إلى

د. بوقاعدة البشير

هدم وتخریب بیوت السكان ومنازلهم⁽⁹³⁾ والقصور العظيمة⁽⁹⁴⁾ والحصون⁽⁹⁵⁾ ناهيك عن أرباض مدينة القيروان ونواحيها⁽⁹⁶⁾.

دون أن يفوتنا أنّ المعز بن باديس هو الآخر كان له نصيب في ذلك التخریب حينما أمر بإخلاء مدينة صبرة ونقل أهلها إلى القيروان فاقتلعت حُشْب الحوانيت وسقائفها، وحُزِبت عمارة المدينة⁽⁹⁷⁾. ثم عندما انتقل إلى مدينة المهدية سنة 449هـ/ 1057م وترك مدينة القيروان دون سلطة سياسية كفيلة بصدّ تلك الغارات الهلالية عن المدينة في حدود الامكانيات العسكرية التي تحوزها، ولكن في غياب ذلك أضحت المدينة مجالا خصبا تعيث فيه قبائل بني هلال فسادا وتخریبا، وبحرية تامة⁽⁹⁸⁾.

-على الجانب السياسي:

إن انتقال الأسرة الزيرية الحاكمة من القيروان إلى مدينة المهدية الساحلية بعدما فرضت العرب الهلالية سيطرتها على ضواحي القيروان ترك فراغا سياسيا كبيرا في المدينة، وهو ما فتح الطريق أمام القبائل الهلالية لدخول القيروان والسيطرة عليها. عندئذ انحصر ملك بني زيري في المنطقة الساحلية، وانقسمت باقي مناطق دولتهم إلى ما يعرف بدول الطوائف، حيث استقلّ حمو بن ومليل البرغواطي بمدينة سفاقص سنة 456هـ/ 1059م بعدما تحالف مع بطون عرب بني هلال كزغبة، رباح، الأثيج، وعدي، ولم يتوقف طموح حمو بن ومليل البرغواطي عند ذلك الحد بل قصد المهدية يروم اقتحامها لكنه فشل في مسعاه⁽⁹⁹⁾. كما صار ملك تونس إلى ولاية الناصر بن علناس (481هـ/ 1088م) صاحب القلعة الذي ولى علي عليها عبد الحق بن خрсан واستقرت في ملك هذا الأخير وملك بنیه. كما استقلت قابس عن ملك بني زيري لصالح مؤنس بن يحي الرياحي بعدما أصبح عاملها المعز بن محمد الصنهاجي إلى ولايته. واستقلّ أيضا حاكم قفصة بعدما خرج عن طاعة ملوك بني زيري مستعينا بالعرب الهلالية⁽¹⁰⁰⁾.

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

-على الجانب الاقتصادي والاجتماعي:

عرفت الحياة الاقتصادية لمدينة القيروان عقب الدخول الهلالي اضطرابا ملحوظا بعدما تعرضت المحاصيل الزراعية إلى التخريب ،والسلب ،والنهب ،والحرق ،والاتلاف. حيث تحوّلت المناطق الزراعية -التي تعد أساس اقتصاد المدينة- إلى مناطق رعوية ، وهو ما أثر سلبا على العلاقة الاقتصادية المنفعية بين المدينة وأرباضها؛ ذلك أن هذه المناطق الريفية التي تمدّ المدينة بالمحاصيل الزراعية أضحت هي التي تتقاسم مع المدينة المحصول الزراعي في ظل السيطرة الهلالية على تلك المناطق ،وافساد زروعها. عندئذ أضحى الانتاج الزراعي الذي تنتجه سهول المدينة المحمية لا يلبي احتياجات ومطالب السكان في الريف والمدينة معا. وهذا لا شكّ ما ساهم بشكل كبير في حدوث أزمة غذائية حادة بمدينة القيروان وغيرها من مناطق المغرب الأدنى⁽¹⁰¹⁾. كما أن السيطرة الهلالية على الطرق والمسالك التجارية وتضييق السبل على المدينة أضحى عائقا كبيرا أمام عملية تزويد المدينة بمختلف المواد الضرورية لحياة ساكنيها، خصوصا بعدما أصبحت تلك الأرياف والقرى المحيطة بالقيروان مناطق رعوية فقط ،بعدها كانت أراضيها الصالحة للزراعة تقوم على أساس الزراعة الكثيفة والمتنوعة والتي تُسقى باستخدام وسائل الري ،في ظل الامكانيات التي تحوزها السلطة الزيرية آنذاك⁽¹⁰²⁾. ولا شك أن هذا الوضع الاقتصادي المضطرب قد ساهم في ارتفاع الأسعار بشكل كبير ،كما ساهم في انتشار الفقر ،والأمراض ،والمجاعات. وعلى الرغم من جهود السلطة الزيرية في إعادة الأمور إلى نصابها ، وخلق توازن بين المجال الريفي والحضري ،إلا أن ذلك لم يجد نفعا أمام الهجرة الجماعية المتزايدة للمزارعين نحو المدينة فرارا من أعمال النهب والسلب التي طالت أراضيهم ،وممتلكاتهم تاركين

د. بوقاعدة البشير

أراضيهم الخصبة مُفضّلين اللجوء إلى داخل المدن المحصنة أو بالقرب منها احتماء من غارات بني هلال التي تستهدف أنفسهم وممتلكاتهم⁽¹⁰³⁾.

-على الجانب الثقافي:

بعدما كانت مدينة القيروان حاضرة المغرب الأدنى وأمّ أقطاره ودارا للعلم ومقصدا لطلبة العلم والعلماء من كل الأقطار أخذت تلك المكانة الثقافية التي عرفتھا المدينة في التلاشي والتراجع شيئا فشيئا في ظل الاضطرابات السائدة في إقليم المغرب الأدنى بشكل عام، والقيروان على وجه الخصوص، جرّاء نشاط القبائل الهلالية بمدينة القيروان وضواحيها ليزداد الوضع الثقافي تعقيدا حينما ترك المعز بن باديس القيروان واحتى بالمهدية، ثم تبعته الرعية. عندئذ تفرّق أهل القيروان في مختلف الأصقاع بين بلاد المشرق والمغرب. فمنهم من قصد أرض مصر⁽¹⁰⁴⁾، ومنهم من انتقل إلى صقلية⁽¹⁰⁵⁾ ومنهم من حطّ الرحال بحاضرة بني حماد مدينة القلعة، ومنهم هاجر إلى فاس حاضرة المغرب الأقصى آنذاك، ومنهم من اجتاز العدو إلى بلاد الأندلس⁽¹¹¹⁾. وكان في مقدمة هؤلاء المهاجرين صفوة المجتمع ونخبته من علماء وفقهاء وطلبة علم والتجار، وأصحاب رؤوس الأموال. وبذلك لم تعد مدينة القيروان مقصد العلماء ومحطّ الرحال، بل منطقة طاردة للسكان في ظل ما تعيشه من فقدان للأمن⁽¹⁰⁶⁾، وانتشار للفوضى والاضطرابات. وهو ما يعبر عنه المؤرخ عبد الواحد المراكشي بقوله: "كانت القيروان...منذ الفتح إلى أن خربتھا الأعراب دار العلم بالمغرب، وبها علماء كثير، فلما استولى عليها الخراب...تفرّق أهلها في كل ناحية"⁽¹⁰⁷⁾.

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل
التطور وأسباب الانحطاط-

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث نلمس بأنّ مسار النهضة العمرانية والحضارية والفكرية التي عرفتتها الحاضرة القيروانية قد توقف عند منتصف القرن الخامس الهجري (11م) تزامنا والنشاط الإفسادي الذي قادتته العرب الهلالية بالمنطقة، وبالرغم من أنّ هذا العامل لم يكن بمفرده وإنما انضمت مجموعة عوامل أخرى إلى صفه لتؤثر سلبا على مسار هذه النهضة وذلك الحراك العمراني، إلا أنّه يعد العامل الأهم والسبب الأقوى.

الهوامش

(1) - أختلف في معنى القيروان ف قيل أن معناها القافلة ، وقيل موضع الكتابة أو الخيش ، وقيل هي الكثرة من الناس ، وهذا اللفظ معرّب أصله بالفارسية كاروان أو كريان التي تعني القافلة ، أنظر: جمال الدين ابن منظور: لسان العرب ، مج 5 ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، 1997 ، ص 250 ، و للمزيد أنظر: حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ، (د.ط) ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، (د.ت.ن) ، ص 153.

(2) - محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ت.ن) ، ص 71. MARCAIS, Georges : La conception des villes dans l'Islam, revue d'Alger, numéro 10, p517, Tome 2, Alger, 1945

(3) - هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، كانت ولايته لمصر بعد عزل عمر بن العاص عنها سنة 25 هـ ، توفي سنة 36 هـ ، أنظر: أحمد أبو العباس البلاذري: فتوح البلدان ، حققه وشرحه ، عبد الله الطباع وعمر الطباع ، (د.ط) ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، 1407 هـ - 1987 م ، ص 273 ، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، تح، ج.س. كولان وإليقي بروقنصال ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1983، ص 10-09.

(4) - عبد الرحمن بن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب ، ج 2 ، تح ، شارلز توري ، (د.ط) ، الذخائر ، القاهرة ، (د.ت.ن) ، ص 183.

(5) - أصبح عاملا لمعاوية بن أبي سفيان على مصر سنة 48 هـ / 668 م ، وكذلك على إفريقية ، أنظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 19.

(6) - أبو بكر المالكي: كتاب رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج 1 ، تح ، بشير البكوش

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

،مراجعة ،محمد المطوي ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ،1414هـ-1994م ، ص28-30.

(7)- هو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر ،ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة ،أصبح أميراً على إفريقية بعد وفاة معاوية بن خديج ،قتل في موضع تهودا و هو بمنطقة بسكرة ببلاد الجزائر اليوم ، أنظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ،ج1 ص19.

(8) - عبد الرحمن بن محمد الدباغ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مج1، علق عليه، أبو القاسم بن عيسى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ-2005م ،ص42.

(9)- شهاب الدين ياقوت الحموي معجم البلدان ،مج4، (د.ط)، دار صادر ، بيروت، 1397هـ-1977م ،ص420.

(10) - ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق ،ج1 ،ص19.

(11) - موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981، ص30.

(12) - شمس الدين المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،علق عليه ،محمد الضناوي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1424هـ-2004م ،ص182.

(13) - عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة ،دار ابن الهيثم ،القاهرة ،1426هـ-2005م ،ص281.

(14) - المصدر نفسه ،ص281.

(15)- ابن عبد الحكم: المصدر السابق ،ص196.

(16)- شهاب الدين النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج 24 ، تح ، عبد المجيد

ترجيني ، (د.ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت.ن) ، ص 12.

(17)- محمد ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، مج 3 ، صححه ، محمد الدقاق ، ط 4 ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ - 2003 م ، ص 320.

(18)- المالكي: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 11 ، ابن عذاري: المصدر السابق ، ج 1

، ص 19.

(19)- محمد زيتون: المرجع السابق ، ص 78.

(20)- ابن الأثير: المصدر السابق ، ج 3 ، ص 320.

(21)- ابن عذاري: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 20.

(22)- المصدر نفسه ، نفس الجزء ، نفس الصفحة.

(23)- عبد الله أبو عبيد البكري: المسالك والممالك ، مج 2 ، تح ، جمال طلبية ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ - 2002 م ، ص 198.

(24)- المصدر نفسه ، نفس الجزء ، نفس الصفحة.

(25)- المصدر نفسه ، نفس الجزء ، نفس الصفحة.

(26)- ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض ، القسم الأول ، ط 2 ، طبع في مدينة ليدن

، بمطبعة بريل ، 1938 ، ص 96.

(27)- البكري: المصدر السابق ، مج 2 ، ص 199.

(28)- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق ، سعد زغلول عبد

الحميد ، ط 2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ودار النشر المغربية ، الدار

البيضاء ، المغرب ، 1986 ، ص 129.

(29)- الحبيب الجنحاني: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب

العربي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968 ، ص 59.

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

- (30) البكري: المصدر السابق، مج 2، ص 199.
- (31) الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1414هـ-1994م، ص 284.
- (32) ابراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري: المسالك والممالك، تح، محمد الحيني، مراجعة، محمد غريال، (د.ط)، دار القلم، القاهرة، 1381هـ/1961م، ص 34.
- (33) محمد ابن أبي بكر أبو عبد الله الزهري: كتاب الجغرافية، تح محمد حاج صادق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، (د.ت)، ص 109.
- (34) الحموي: المصدر السابق، مج 5، ص 231.
- (35) الأصبخري: المصدر السابق، ص 32.
- (36) للمزيد أنظر: الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 281.
- (37) عبد الرحمن ابن خلدون: العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 4، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ-2000م، ص 52.
- (38) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 7، ص 191.
- (39) ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 216، ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 53.
- (40) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 7، ص 193.
- (41) ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 218.
- (42) للمزيد أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 206.
- (43) رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، (د.ط)، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص 34.

د. بوقاعدة البشير

- (44) - ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 210.
- (45) - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 278.
- (46) - قارن ذلك مع ما أورده النويري، أنظر: النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 111.
- (47) - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 278.
- (48) - ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 19.
- (49) - أنظر: ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 278، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 7، ص 295، ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 295.
- (50) - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 7، ص 295.
- (51) - المصدر نفسه، ج 8، ص 295.
- (52) - حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1412هـ-1992م، ص 602.
- (53) - أنظر حول حياته: شمس الدين ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، مج 5، تح، إحسان عباس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، 1970، ص 229-230.
- (54) - ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح، محمد شمام، (د.ط)، المكتبة العتيقة، (د.ت.ن)، ص 84.
- (55) - حسين مؤنس: المرجع السابق، مج 1، ص 602.
- (56) - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 295.

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

(57)- أحمد المقرئ: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 2، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ- 2001م، ص 66.

(58)- الحسن الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ج 1، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، (د.ط)، دار الغرب، بيروت، لبنان، 1983، ص 66.

(59)- أنظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 27.

(60)- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه، صلاح الدين الهواري، (د.ط)، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ - 2006 م، ص 250.

(61)- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 288.

(62)- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 20.

(63)- النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 118.

(64)- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 289.

(65)- النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 118-119.

(66)- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 289.

(67)- بورويبة: المرجع السابق، ص 48.

(68)- ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 289.

(69)- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 296.

(70)- النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 119.

(71)- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 20.

(72)- حسين مؤنس: المرجع السابق، مج 1، ص 603.

(73)- ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 296.

(74)- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 21.

د. بوقاعدة البشير

- (75) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 84.
- (76) ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 288.
- (77) المصدر نفسه، نفس الجزء، ص 291.
- (78) المصدر نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.
- (79) المصدر نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.
- (80) النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 120.
- (81) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 84.
- (82) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 297.
- (83) النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 120.
- (84) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 297.
- (85) النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 120.
- (86) حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق في حضارة القيروان و شاعرها ابن رشيق، تقديم، محمد العروسي المطوي، ط 2، مكتبة المنار، تونس، 1970، ص 71.
- (87) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 84.
- (88) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 21.
- (89) المقرئزي: المصدر السابق، ج 2، ص 66.
- (90) الدباغ: المصدر السابق، مج 1، ص 47.
- (91) عبد الفتاح الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، مج 2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1414هـ-1994م، ص 63.

مدينة القيروان بين اهتمام عرب الفتح وتخريب قبائل بني هلال -دراسة تاريخية لعوامل التطور وأسباب الانحطاط-

(92) طارق بن زاوي: "استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية 406-

454هـ/1016-1062م" رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص162.

(93) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص294.

(94) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص297.

(95) النويري: المصدر السابق، ج24، ص120.

(96) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص291.

(97) المصدر نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة

(98) أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص217.

(99) المصدر نفسه، نفس الجزء، ص291.

(100) المصدر نفسه، نفس الجزء، ص217.

(101) المرجع نفسه، ص108.

(102) مبارك بوطارن: "تطور العمران الإسلامي حواضر المغرب نموذجا"، أطروحة

دكتوراه في الآثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص287-288.

(103) المراكشي: المصدر السابق، ص255.

(104) البكري: المصدر السابق، مج2، ص226.

(105) المراكشي: المصدر السابق، ص255.

(106) محمد الزهري: المصدر السابق، ص112.

(107) المراكشي: المصدر السابق، ص255.